يجد مقاومات داخلية شديدة تعوق اقترابه مني... ونحن لا غنى لنا، اطلاقاً، عن رفاقنا الآريين كافة، والاّ سقط التحليل النفسي ضحية لمعاداة السامية».

وعلى أي حال، فقد أخفق فرويد في الاحتفاظ بهذا الغطاء الذي كان يتمثل في يونغ، والذي لم يلبث ان انشق عن التيار الفرويدي واتخذ له نهجاً مستقلاً متميزاً. وواصل فرويد ورفاقه سعيهم نحو غاياتهم التي تمثّلت في تقديم الغطاء الفكري المناسب لتدعيم أفكار من نوع ان معاداة السامية خاصية سيكولوجية ضاربة الجذور، وان لليهود من الخصائص السيكولوجية ما يميزهم عن بقية البشر، الى آخر تلك الافكار التي تمثّل ركناً أساسياً من اركان الفكر الصهيوني.

وكان طبيعياً والامر كذلك ان يجد المتأمل في سير حياة العديد من أقطاب حركة التحليل النفسي ان الخيوط متداخلة متشابكة بين ممارستهم العملية للنشاط الصهيوني والتحليل النفسي. فماكس ايتنغتون، مثلاً، وهو احد اعضاء القيادة السرية للتنظيم الفرويدي الصهيوني، قرّر، في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣، ان يغادر المانيا الى فلسطين، حيث أقام هناك بقية حياته، وأنشأ «الجمعية الفلسطينية للتحليل النفسي» التي ما زالت قائمة حتى الآن، بعد ان تغيّر اسمها طبعاً. وقال المحلّل النفسي سيدني بومر: «لم يكن انتقال اتينغتون الى اسرائيل مجرّد استجابة لضرورات الحرب، بل كان نتيجة طبيعية لميله، طول حياته، الى الصهيونية». امّا المحلل النفسي الشهير، ارنست سيميل، والصديق الصدوق لماكس اتينغتون، فهو صاحب الكتاب المعروف «المعاداة للسامية مرض اجتماعي»، وفيه يرجع المشكلة اليهودية برمّتها الى اسباب نفسية خالصة. ولقد بلغ من تقدير فرويد لسيميل انه اهداه، العام ١٩٣٩، ذلك الخاتم الشهير ذاته الذي سبق ان اهدى مثله لاعضاء القيادة السرية للتنظيم قبل ذلك بسنوات طوال. اما سيغموند برنفيلد، المحلّل النفسي الذي يزكيه فرويد، في خطابه المؤرخ في ١٩٣١/١/٢٢، بقوله «... انه خبير بارز في التحليل النفسي. واعتبره واحداً من أقوى العقول بين تلامذتي واتباعي...»، فانه ـ أي برنفيلد ـ هو نفسه ذلك العضو البارز في المنظمات الصهيونية، الذي تبنى أفكار الفيلسوف الصهيوني مارتن بوبر، وكرّس جانباً كبيراً من كتاباته النفسية لابراز خصائص الشعب اليهودي، والدفاع عن فكرة «فلسطين كوطن قومي لليهود»؛ وكذلك الحال بالنسبة الى الطبيب والمحلل النفسي فيلكس دويتش، الذي كان، منذ شبابه، من أنشط اعضاء التنظيم الطلابي الصهيوني في فيينا، والذي التقى، في صفوف هذا التنظيم، بمارتن فرويد، ابن سيغموند فرويد؛ ومن خلال لقائهما، عرف دويتش طريقه الى فرويد والفرويدية.

مقتضيات السياسة تسبق قواعد العلم

ترى كيف أمكن لفرويد، ولتنظيمه الصهيوني السري، ان يحققا ما حققاه ؟ ان الامر لا يرجع، فحسب، الى تلك العبقرية التي تميّز عقلية فرويد المنظّمة؛ ولا، أيضاً، الى مجرد ذلك الحضور الغلاّب الذي ميّز شخصية فرويد. ان الامر انما يرجع الى قاعدة عملية أدركها فرويد والتزم بها دوما، شأنه في ذلك شأن قائد أي تنظيم سياسي: «المعيار السياسي قبل المعيار العلمي». ووفقاً لتلك القاعدة التنظيمية، قاتل فرويد من أجل ضمّ يونغ الى الواجهة العلنية لقيادة حركة التحليل النفسي، وأشاد، علناً، بعبقريته العلمية ونفاذ بصيرته التحليلية؛ ولكنه أفضى الى رفاقه في قيادة التنظيم السري بالمبرّرات الحقيقية لهذا الضمّ؛ وليس من بين تلك المبررات، التي ساقها فرويد، مجرّد اشارة، ولو من بعيد، الى عبقرية يونغ العلمية. فهو ـ أي يونغ ـ ليس سوى مسيحي آري «يلزمنا لتغطية